محاضرة 13: آفاق البحث في المصطلح1

يُعدّ البحث في المصطلح من المجالات المعرفية التي تكتسي أهمية متزايدة في الدراسات اللغوية والعلمية المعاصرة، نظرًا إلى الدور الذي يؤديه المصطلح في بناء المعرفة وتداولها ونقلها بين اللغات والثقافات والتخصصات المختلفة. فالمصطلح ليس مجرد وحدة لغوية تُطلق على مفهوم معين، وإنما هو أداة معرفية تسهم في تنظيم التصورات العلمية، وضبط المفاهيم، وتيسير التواصل بين الباحثين والمتخصصين.

وقد شهدت المصطلحية تطورًا ملحوظًا بفعل التحولات العلمية والتكنولوجية المتسارعة، واتساع مجالات المعرفة، وتزايد الحاجة إلى إنتاج المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها. ولم يعد البحث المصطلحي مقتصرًا على دراسة نشأة المصطلحات وطرق وضعها، بل أصبح يتجه إلى قضايا أكثر تعقيدًا، ترتبط بالترجمة، والصناعة المعجمية، والمعالجة الآلية للغة، والذكاء الاصطناعي، والمدونات الرقمية، والتواصل العلمي متعدد اللغات.

ومن هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى استشراف آفاق البحث في المصطلح، وتحديد المسارات الجديدة التي يمكن أن تسهم في تطوير الدرس المصطلحي وتوسيع مجالاته النظرية والتطبيقية.

1- تطوير الأسس النظرية والمنهجية للبحث المصطلحي

يمثل تطوير الإطار النظري والمنهجي أحد أهم آفاق البحث في المصطلح؛ إذ تقتضي التحولات المعرفية الراهنة إعادة النظر في بعض التصورات التقليدية التي حكمت الدرس المصطلحي، ولا سيما التصورات التي تنظر إلى المصطلح بوصفه تسمية لغوية ثابتة لمفهوم محدد.

فالبحث المعاصر مطالب بالاهتمام بالعلاقات التي تربط المصطلح بمفهومه وسياقه المعرفي والتداولي، وبكيفية تشكل المفاهيم وتطورها داخل الحقول العلمية. كما ينبغي الانتقال من دراسة المصطلح معزولًا إلى دراسته ضمن شبكة من العلاقات المفهومية، تشمل الترادف، والتعدد الدلالي، والتضاد، والاشتمال، والتداخل بين التخصصات. ويفتح هذا التوجه المجال أمام الإفادة من اللسانيات الحديثة، وعلم الدلالة، والفلسفة، وعلوم المعرفة، في تطوير أدوات تحليل المصطلحات وضبط مفاهيمها.

كما تبرز أهمية بناء مناهج وصفية وتاريخية ومقارنة تسمح بتتبع نشأة المصطلحات وتطورها وانتقالها بين اللغات، ورصد التحولات التي تطرأ على مفاهيمها ودلالاتها.

2- البحث في المصطلح والترجمة

تُعدّ الترجمة من أبرز المجالات التي تتجلى فيها إشكاليات البحث المصطلحي، ذلك أن نقل المعرفة من لغة إلى أخرى يقتضي نقل المفاهيم العلمية وضبط المقابلات المصطلحية التي تعبّر عنها.

وتتجاوز الصعوبات في هذا المجال مجرد إيجاد مقابل لغوي للمصطلح الأجنبي؛ إذ تتصل أحيانًا باختلاف الأنظمة المفهومية بين اللغات، وعدم التطابق بين الحقول الدلالية، وغياب المقابل المصطلحي، وتعدد الترجمات للمصطلح الواحد.

ومن ثم، تتجه آفاق البحث إلى دراسة العلاقة بين المصطلح والترجمة المتخصصة، وتحليل استراتيجيات نقل المصطلحات، والموازنة بين الترجمة الحرفية والاشتقاق والتعريب والاقتراض، فضلًا عن دراسة أثر السياق العلمي والثقافي في اختيار المقابل المصطلحي.

ويُنتظر أن تسهم الدراسات المقارنة في بناء قواعد بيانات ثنائية ومتعددة اللغات، تساعد على توحيد المصطلحات وتيسير عمل المترجمين والباحثين، وتحد من الاضطراب الاصطلاحي في الإنتاج العلمي العربي.

3- المصطلح والصناعة المعجمية المتخصصة

تُشكّل العلاقة بين المصطلحية وعلم المعاجم مجالًا خصبًا للبحث، بالنظر إلى التقاطع بينهما في دراسة الوحدات اللغوية وتنظيمها وتفسيرها، مع اختلافهما في طبيعة المادة التي يتناولها كل منهما وأهدافه الإجرائية. فإذا كان علم المعاجم يهتم بوصف المفردات اللغوية العامة وتحديد معانيها واستعمالاتها، فإن المصطلحية تتجه إلى دراسة المصطلحات المتخصصة في علاقتها بالمفاهيم التي تمثلها داخل مجالات معرفية محددة.

وتتمثل إحدى آفاق البحث في تطوير صناعة المعاجم المصطلحية، من خلال الانتقال من المعاجم القائمة على الترتيب الأبجدي للمصطلحات إلى معاجم مفهومية تتيح تنظيم المعرفة وفق العلاقات التي تربط المفاهيم بعضها ببعض.

كما تبرز الحاجة إلى تطوير المعاجم المتخصصة بحيث لا تكتفي بتقديم المصطلح ومقابله وتعريفه، وإنما تتضمن معلومات إضافية، مثل المجال المعرفي، والسياق الاستعمالي، والمرادفات، والمقابلات الأجنبية، والمصادر التي استُمد منها المصطلح.

ومن شأن هذا التطوير أن يجعل المعجم المصطلحي أداة معرفية تتجاوز الوظيفة التفسيرية إلى وظيفة توثيقية وتواصلية، تسهم في خدمة البحث العلمي والترجمة والتعليم.

4- المصطلح والمدونات اللغوية الرقمية

أدى التطور التكنولوجي إلى ظهور إمكانات جديدة في دراسة المصطلحات ورصدها وتحليلها، وأصبحت المدونات اللغوية الرقمية من الأدوات المهمة في البحث المصطلحي المعاصر.

فقد أتاحت المدونات إمكانية جمع النصوص المتخصصة وتصنيفها وفق الحقول المعرفية، ثم تحليلها لاستخراج المصطلحات الأكثر تداولًا، وتحديد سياقات استعمالها، ورصد التحولات التي تطرأ على دلالاتها عبر الزمن.

ومن هنا، يمكن توجيه البحث المصطلحي نحو بناء مدونات متخصصة في مختلف العلوم، مثل اللسانيات والطب والهندسة والاقتصاد والقانون، بما يسمح بدراسة المصطلح في بيئته النصية الطبيعية بدل الاكتفاء بالتعريفات المعجمية المجردة.

كما يمكن الإفادة من تقنيات المعالجة الآلية للغة في استخراج المصطلحات المركبة، والتعرف على الوحدات الاصطلاحية متعددة الكلمات، وتصنيفها، والكشف عن العلاقات التي تجمع بينها.

وتتجلى أهمية هذا التوجه في أنه يوفر معطيات واقعية حول الاستعمال المصطلحي، ويساعد على التمييز بين المصطلحات المستقرة والمصطلحات الناشئة، وبين المصطلحات المتخصصة والألفاظ العامة التي تكتسب دلالة اصطلاحية داخل سياق معرفي معين

5- الذكاء الاصطناعي وآفاق البحث المصطلحي

يمثل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز المجالات الواعدة في تطوير البحث المصطلحي، لما يوفره من تقنيات قادرة على معالجة كميات ضخمة من النصوص، واستخراج المعلومات، وتحليل العلاقات الدلالية، واقتراح المقابلات المصطلحية.

فقد أسهمت تقنيات التعلم الآلي والتعلم العميق في تطوير أنظمة قادرة على التعرف على المصطلحات داخل النصوص المتخصصة، واستخراجها آليًا، وتصنيفها بحسب المجالات العلمية التي تنتمي إليها.

كما أتاحت تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي إمكانات جديدة في اقتراح المصطلحات وتعريفها وترجمتها، وتحديد السياقات التي ترد فيها، والمساعدة على بناء المعاجم وقواعد البيانات المصطلحية.

غير أن هذه الإمكانات تثير مجموعة من الإشكالات العلمية والمنهجية؛ إذ لا يمكن التسليم بصحة المقترحات المصطلحية التي تنتجها الأنظمة الآلية دون إخضاعها للمراجعة والتحقق من دقتها المفهومية واللغوية.

ومن ثم، يتجه البحث المستقبلي إلى دراسة العلاقة بين الخبرة البشرية والمعالجة الآلية في صناعة المصطلح، وتحديد حدود تدخل الذكاء الاصطناعي في اقتراح المصطلحات وتوحيدها، ومدى قدرته على استيعاب الفروق الدقيقة بين المفاهيم المتخصصة.

ويُنتظر أن تتطور الدراسات في هذا المجال نحو بناء أنظمة ذكية تجمع بين المدونات المتخصصة وقواعد البيانات المصطلحية والمعاجم الرقمية، مع الاحتفاظ بالدور المركزي للخبير المصطلحي في المراجعة والتحكيم والاعتماد.